**عنوان المحاضرة: الإبداع بين الذاكرة والنسيان.**

**مراجع المحاضرة:**

* حسن شحاته، زينب النجار: معجم المصطلحات التربوية والنفسية
* ميري ورنوك: الذاكرة في الفلسفة والادب،
* أحمد فؤاد الأهوان: النسيان.
* عبد الكريم نوار: العرب يحتاجون إلى أفكار نيتشه لتمجيد النسيان والنجاة من الشيخوخة، مجلة العرب.

**تمهيد:** إن جدلية الذاكرة والنسيان من أهم القضايا الفلسفية الشائكة التي طالما أرقت الفلاسفة على مر التاريخ، في الفلسفة اليونانية استطاع أفلاطون أن يربط المعرفة بالتذكر والجهل بالنسيان.

أما في الفلسفة الحديثة فقد استطاع جون لوك أن يعلي من شأن الذاكرة إذ اعتبرها محددا أساسيا لهوية الشخص، لكن نيتشه قلب المعادلة حيث أعاد الاعتبار للنسيان، واعتبره شرطا أساسيا لسعادة الفرد والمجتمع.

يؤكد نيتشه أن اللاتاريخي والتاريخي ضروريان لصحة الفرد والمجتمع والثقافة؛ فالنسيان بهذا المعنى هو الذي يجعل الذاكرة تنير جزءا من التاريخي، وتترك الجزء الآخر في طي النسيان، الشيء الذي يعني أن الذاكرة تتفاعل مع الماضي بشكل انتقائي.

فالنسيان هنا أو اللاتاريخي لا يقصد بهما فقدان الذاكرة ، كما لا يقصد بالتاريخي طغيان الماضي على الحياة، وبالتالي فالنسيان المطلق والحضور القوي للذاكرة يشكلان خطرا على حياة الفرد ، بل أكثر من ذلك على حياة المجتمع والحضارة.

إن طغيان الثقافة التاريخية على الحياة كما يعتقد نيتشه، هو نوع من الشيخوخة التي تبدأ مع الولادة.

إننا في حاجة إلى الفن والقدرة على النسيان كما نحتاج إلى قوى الإبداع – لا إلى قوى الاتباع – حتى ننقص من طغيان الماضي على الحاضر. هذا من جهة، أما من جهة ثانية فنحن بحاجة إلى التاريخ النقدي من أجل إخضاع ماضينا للمساءلة والنقد

**تعريف الذاكرة:** لم يتفق الباحثون على إيجاد تعريف محدد للذاكرة. لذلك تعددت التعريفات وتشابهت واختلفت حسب وجهة نظر صاحبها ، أو حسب المجال الذي استعملت فيه. وارتبطت الذاكرة بموضوعين أساسيين؛ أحدهما النظر إلى الذاكرة بعدّها عضوا أو أداة أو جهازا، والثاني اعتبار الذاكرة وظيفة أو نشاطا أو قدرة.

تعرف الذاكرة باعتبارها وظيفة على أنها: " تخزين المعلومات أو الاحتفاظ بها بشكل يجعلها متاحة للاسترجاع أو تذكرها بالصورة نفسها التي خزنت بها.

هي قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب والمعلومات السابقة في الذهن واستعادتها.

تمثل السيرة الذاتية قصة حياة يمكن النظر إليها بطريقتين؛ فهي من جانب تسجيل لمجريات حياة، ومن جانب آخر موضوعا وحبكة وبطلا...وهكذا يكون لذاكرة الفرد ، وقد تم تغليفها في سيرة ذاتية أو في رواية على شكل سيرة ذاتية ، معنى عام وشامل. ( ميري ورنوك، ص 7، 8)

هنا تتداخل وظائف الذاكرة والمخيلة أو ربما تصبح غير قابلة للتمييز ...ويمكن فهم القيمة التي نوليها لعملية التذكر انطلاقا من النقطة التي تتداخل فيها الذاكرة مع المخيلة على وجه الدقة . فيمكن لهوية الفرد الذاتية التي تضمنها الذاكرة التحول إلى قيمة دائمة وشاملة من خلال المحاولات التي قد نبذلها لتحويل الذاكرة إلى فن.

في محاورة بين سقراط و ثياتيتوس يسأل سقراط، إذا علم الإنسان موضوعا ما وكان موجودا في ذاكرته فهل يمكن ألا يعلم هذا الشخص الموضوع الذي يتذكره أثناء عملية تذكره له؟ من كتاب محاورة ثياتيتوس لأفلاطون أو عن العلم، ص 56

**أهمية الرواية/ رواية الشعر عند العرب القدامى:**

نظرا لطبيعة الحياة في الجاهلية القائمة على المشافهة، فإن الشعراء الجاهليون لم يدونوا أشعارهم، وإنما كان رواتهم، وهم عادة من ناشئة الشعراء يتولون مهمة حفظ الشعر وإشاعته، وقد قويت قرائح الرواة بعد روايتهم شعر غيرهم، فأصبحوا أو أصبح بعضهم من الشعراء المشاهير. فقد روت المصادر أن زهير بن أبي سلمى كان راوية لأوس بن حجر، وروى عن زهير ابنه كعب والحطيئة، كما روى شعر الحطيئة هُدبة بن خشرم، ثم روى جميل بن معمر شعر هدبة بن خشرم، وروى كثير عزة شعر جميل.

ثم نشأت طائفة أخرى من الرواة لم يكونوا ممن يحسنون نظم الشعر ، فهم لا يروونه من أجل أن يصبحوا من أهله، بل من أجل إذاعته بين الناس. وقد روت المصادر الأدبية أنه كان لجرير والفرزدق عدة رواة يلزمونهما ويأخذون عنهما شعرهما.

وحتى بعد ازدهار الحياة العلمية والثقافية في البصرة والكوفة، بقيت رواية الشعر منتشرة وذائعة، وبرز في كل مدينة أعلام مشاهير جمعوا أشعار الجاهليين والإسلاميين ، وكانوا يحرصون على أخذ هذا الشعر من الرواة مشافهة، ولم يكونوا يعولون على أخذه من الكتب والصحف. وقد عرف رواة البصرة بالتشدد في الرواية والتدقيق فيها ، وكانت معاييرهم أكثر دقة من معايير رواة الكوفة.

ويدل هذا على دور الحفظ في الإبداع الشعري. وقد أشار إلى هذه المسألة نقاد كثر؛ كالجرجاني والأصمعي وخل الأحمر...فالجرجاني يرى أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه. وقال: ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث...إلا أني أرى حاجة المحدث للرواية أمسّ.

فهو يضع الرواية من الأسس التي يقوم عليها الشعر، ويرى أن المتأخرين أحوج للرواية من المتقدمين. واما الأصمعي فيرى أن الشاعر لا يكون في قريض الشعر فحلا ، حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعر المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ.

وكل هذه الآراء النقدية تدل دلالة واضحة على أهمية الذاكرة في عملية الإبداع الشعري. ويذكر أن أبا نواس استأذن خلف الأحمر في نظم الشعر، فقال له: لا آذن لك في الشعر إلا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة. فغاب أبو نواس مدة ثم عاد إليه وقد حفظ ذلك. فقال له خلف: أنشدها، فأنشدها أكثرها في عدة أيام، ولكنه قال له بعد ذلك: لا آذن لك في قول الشعر حتى تنسى هذه الألف كأنك لم تحفظها.ويقال: إن أبا نواس ذهب إلى بعض الأديرة وخلا بنفسه،وأقام مدة حتى نسيها، ثم حضر إلى خلف الأحمر وقال له: لقد نسيتها حتى كأن لم أحفظها. فقال له خلف الأحمر: الآن انظم الشعر.

وهذه القصة تشير إلى أهمية حفظ الشعر قبل نظمه، ودوره في صقل الموهبة، وشحذ الإبداع، كما تشير إلى أهمية النسيان. والأكيد أن ذاكرة أبي نواس لم تكن ذاكرة إلكترونية يمكن مسحها وإعادة تهيئتها للتخزين مرة أخرى بضغطة زر صغيرة. والمقصود بالنسيان هنا هو أن يستقل بإبداعه بعيدا عن التقليد. فخلف الأحمر يعلم قيمة الحفظ في حصول الإبداع.

وقد أشار ابن رشيق والجاحظ وغيرهم كثير إلى أهمية الرواية في قرض الشعر؛ فالشاعر إذا روى استفحل، فيجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره، ويعلق بنفسه بعض أنفاسهم، ويقوى بقوة طباعهم. فقد وجد أن الشاعر من المطبوعين المتقدمين يَفْضُلُ أصحابه برواية الشعر، ومعرفة الأخبار، والتلمذة على من يفضلونه من الشعراء، فيقولون: فلان شاعر راوية، يريدون أنه إذا كان راوية؛ عرف المقاصد، وسهل عليه مأخذ الكلام، ولم يضق به المذهب، وإذا كان مطبوعا ولا علم له ولا رواية، ضل من حيث لا يعلم، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه، وهو ماثل بين يديه .